الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة:
٣٠ ق فى مصر والسودان
٥٠ فى الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٣٤ | ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٥٧ — ١٥ يونية سنة ١٩٣٨ | السنة الثانية

أهي مجنونة

أقصوصة مصرية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

عاد « أديب » من نزهته القصيرة مع حبيبته ، وفى مسمعيه منها ضحكتها الفضية التى أذكرته الماء المنحدر في لين ورفق ، وأشعة الشمس تتكسر على ما يتموّج منه ، وكان يخيّل إليه وهو يمشى على مهل فى الجزيرة أن هذه الضحكة المرحة يستطيع النسيم الوانى أن يحملها ويذيعها كما يحمل أرج الأزاهر ، أو كما يذيع تغريد القمرى . بل خيل إليه أن هذه ضحكة يسع المصور الحاذق أن يرسمها ويثبتها بالألوان . وتساءل وهو يفكر فى هذا : لم لا يكون فى الطوق أن يصور المرء الأصوات ؟ ؟ ألا يمكن أن نعبر عن مثل هذه الضحكة بخط أزرق متموج يجرى فيه — كالعرق — خيط ذهبى دقيق ؟ وابتسم وهو يسأل نفسه : ماذا ترى يسمى أهل الوالع بالتعريف وضبط الحدود مثل هذه الصورة؟ أتراهم يسمونه تصويراً رمزياً أم يبتدعون له اسماً جديداً ويقولون مثلاً إنه التصوير « التعبيرى » أى التعبير بالألوان وما إليها عما يقع فى النفس من الشىء مادة كان أو صوتاً ؟

وكان « أديب » كاسمه أديباً ، فله من اسمه نصيب ، وكانت الفتاة التى يحبها فى مثل سنه ، وكان أهلهما لا يعلمان من أمرهما شيئا ، فهما يلتقيان سراً ، ويؤثران التمشى فى الحدائق العامة ، وقد يتلاثمان إذا أمنا فضول العيون ، وإلا فحسبهما أن تتلامس يداهما وهما سائران أو قاعدان . وكان يحس — دون أن يعلم — أن الطهر في الدنيا قليل ،

وأن كبح النفس فى الحياة ليس بسبيل كل حى . ويخطر له أحياناً أنه ليس من اللازم أو الواجب أن يمضى المرء على التوقى من الرياح الهوجاء التى تعصف بها الحياة . وكان يقول لنفسه إن هذا قد لا تكون له قيمة فى حياة الأكثرين ، ولكن رجل الأدب أو الفن ... ؟ آه ... هذا شأنه غير شأن الناس !! ويسأل نفسه : ولكن لماذا يختلف الحال ويتفاوت الأمر ، وهذا إنسان وذاك إنسان ؟ ويجيب نفسه فيقول — وهو يؤمن بما يقول ولا يخالجه شك فى صحته — إن الحقيقة عذراء ، فى جوهرها ، وإن الجمال طهر ، ومن الواجب أن يؤمن الانسان بصورة الكمال التى ترفعها العذرية والطهر والعصمة ، وقد يخفق المرء ، ولكن الاخفاق إنما تكون علته هذا الطين الضعيف الذى لا فكاك للنفس منه . وليس الأديب أو الفنان بحر كغيره من الخلق . وهل هو قدر زُق موهبة الأدب أو الفن إلا ليتلقى معانى من الجمال والحق فى الحياة ؟

وكان على موعد مع حبيبته فى صباح اليوم التالى ، وكانت الساعة في ذلك الوقت — وهو يروح ويجئ فى أرض الجزيرة — التاسعة مساء ، فماذا عسى أن يصنع بهذا الليل الطويل إلى صباح الغد ؟ النوم لا سبيل إليه ، والقراءة أو الكتابة ... أوه مستحيل هذا ... الهواتف كثيرة ، وكيف يطيب أو يغتفر النوم لمن تصافح مسمعيه كل هذه الهواتف من الجمال والحب ؟ وكيف يجوز أن يتناول ما بنفسه ويجمعه ويحزمه ويلقيه فى ركن ، ويريح رأسه على وسادة ويغمض عينيه ويروح ينط ؟؟ هذا الكنز الذى عثر عليه فى نفسه ، هذا الينبوع الفياض الذى تفجر ... متى ينعم به ويسعد إذا كان ينام أو يقرأ أو يكتب ؟؟

وجلس على مقعد من الخشب ، وجعل ظهره إلى الشارع ووجهه إلى النيل ، ولم يعن بأن ينظر يمنة أو يسرة ، وكان على مقعد قريب منه سيدة تراعيه ولا تحول عينها عنه ، وهو ذاهل عنها وعن سواها كأنما خلت الدنيا إلا من حبيبته ، ولكن ذهوله لم يمنع أن ترتسم في ذهنه بغير جهد محسوس منه صورة وجه يبدو باهتاً ممتقع اللون تحت مصباح ، وعينين منحرفتين قليلاً ، وشفتين حمراوين ، وشعر وحف أسود ، وجبين عال أشبه بجبين الرجل منه بجبين المرأة على الرغم من نعومته والتماعه . وكانت هذه الصورة التى انتقشت وحدها ربما خايلته بألوانها ومعانيها فيتعجب ، ويقطب ، ويغمض عينيه كأنما يرجو بذلك أن يجعلها أوضح . وكان وجه العجب أن هذه الصورة التى تلح عليه ليس فيها مشابه من حبيبته . فمن أين جاءت ؟

وسمع — أو توهم أنه سمع — ما يشبه الزفرة الخافتة ، فردته هذا إلى الدنيا التى خرج منها بأحلامه وتلفت فاذا به يرى أصل الصورة المرتسمة فى ذهنه فصار عجبه أشد ، فما كان يدرى أنه رأى أحداً ، أو نظر إلى أحد ، وفرك جبينه ، فسمعها تقول :

« لقد بقيت أكثر مما كنت أريد »

فرفع رأسه وحول وجهه إليها ، فلم ير أحداً غيره يمكن أن يكون المعنى بكلامها فقال « نعم ؟ »

قالت : « كنت أنوى أن أبقى برهة قصيرة ، ولكنى رأيتك فاستغربت حالك ، وأظنك لم تشعر

أنى أحدق فيك منذ نصف ساعة »

فلم يدر بأى كلام يجيب ، وطال تردده ، فقالت :

« من الواضح جداً أنك فى دنيا غير هذه الدنيا »

فوجد لسانه وقال بلهجة أرق من عبارته : « هل يعنيك هذا ؟ »

قالت : « نعم ، إنى أرى أنك تشعر بشىء من الوحدة ، وكذلك أنا ، لماذا لا تجلس إلى جانبى ؟ أنا أجلس إلى جانبك »

وانتقلت إلى مقعده ، فقال بلا لف : لماذا تفعلين هذا ؟ إنى لا أعرفك

فابتسمت ابتسامة المتسامح وقالت : « تمر بى أحيان لا أطيق أن أكون فيها وحدى »

فسألها بجفوة : « هل من عادتك أن تكلمى الأغراب ؟ »

فهزت كتفيها وقالت : « الانسان فى بعض الأحيان يقدم على أشياء قد يستغربها هو فيما بعد »

فزاد شكه فيها واسترابته بها وقال بصرامة وحشية :

« يا سيدتى إنى فقير وليس معى فلوس »

فضحكت .. قهقهت .. ثم تناولت يده وجذبته إليها فمال عليها ثم اعتدل وسألها :

« يا سيدتى ، ولكن من أنت ؟ وماذا أنت ؟ هذا هو المهم »

فقالت : « لا بأس ... أقول لك من أنا ، وما ذا أنا ... مات الرجل الذى كنت أعيش معه ، وقد كنت أعايشه لأنى كنت أحبه ... كنت ! فاهم ؟ ... وكانت له زوجة وبنون ، ولكن هذه حكاية أخرى ... المهم أنه مات ، وأنه عوضنى عما خسرت بفرارى من أهلى وبنقمتهم علىّ ... وترك لى من المال ما يكفينى مع الاعتدال . وفى وسعى أن أتزوج الآن ، ولكنى لا أريد ، لأن زواجى يحتاج إلى الاحتيال والتدبير ، ولست أطيقهما ؛ والطباع التى حملتنى على الفرار من أهلى وأنا مفتوحة العين على ما أستقبل من حياتى ، هى الطباع التى تحملنى الآن على إيثار الحرية فى حدود الكفاية من المال ، والتنزه عن الاحتيال والتدبير لأفوز بزوج ... وماحاجتى إليه ؟ لقد أحببت رجلا لم يكن حبه لى كفاء حبى له ، ولكنه كان كيساً حكيما فترفق بى ، وأولانى العطف الصادق بدلاً من الحب الذى عجز عنه ، ولكن قلبى مات مع ذلك ... كما مات هو ... غريب ... غريب أن يحيا الانسان بقلب ميت ! ! قبر متحرك ولكنه متنكر ! ! ومن يدرى؟ لعلك تظننى ... تحقق أنك تظننى من هؤلاء النسوة اللواتى يبعن أجسامهن ... ولك العذر ... وهبنى كنت المرأة التى توهمتها كذلك ... أواه ! لا أستطيع أن أقول ... ولكن لماذا لا أقول ؟ ماذا أخشى ؟ ماذا تعنينى ظنونك وأنت شاب لاتدرى شيئاً ولا تعرف من الحياة إلا اسمها ... ؟ ما عمرك ؟ عشرون ... ؟ أكثر أو أقل قليلاً ؟ وما عملك فى الحياة ؟ بماذا تشتغل ؟ قل لى أولاً »

فتردد وحار ، ثم استطاع بجهد أن يخبرها أنه يشتغل بالأدب فى أوقات فراغه ، فإن له عملاً فى شركة ...

فقالت : « أديب ؟ يعنى تنظم الشعر ؟ تؤلف روايات ؟ هه ؟ ؟ وتطبع ذلك وتبيعه ... تبيع ثمار عقلك ... والمرأة التى توهمتها تبيع جسمها ... هذا

ما ظننت ... فليكن ... فهل ترى أيها الأديب الأريب الحاذق فرقاً بين البيعين؟ هات سيجارة إذا كنت تدخن »

فأعرب لها عن أسفه لأنه لم يعتد التدخين ، فهزت رأسها هزة المتسامح ، وقالت وهي تبتسم : « كنت أتوقع ذلك »

وكأنما غير طلبها للسيجارة واعتذاره ، وتعقيبها عليه مجرى الحديث ، فأطرق اديب وعاد إلى مثل صمته وتحديقه في الماء ، قبل أن تنتقل إلى مقعده ، ولبثت هي لحظة صابرة عليه لا تحاول أن تخرجه من سكونه ، أو ترده مما بدا لها كالغيبوبة ، ثم قالت فجأة — واصلة ما انقطع من حديثها — :

« لو شئت لغامرت ، ولوسعني أن أبسط لنفسي العذر إذا لم يعذرني الناس . وعلى أنه ما قيمة أن يعذر الناس أو لا يعذرون . ومتى كان الناس يعذرون باخلاص ؟ أو يتقون أن يغتابوا الانسان على كل حرصه على السلوك القويم — أعني التقليدي؟ — ولكني لا أغامر ، لا لأني لا أشتهي أن أفوز من دنياي بما يفوز به أمثالي ، بل لأني اقتنعت بأن الأمر لا يستحق عناء ، ولا يساوي ما يبذل في سبيله . ثم لأن آخرة المطاف ماذا ؟ آخرته أوله ... رحلة طويلة ولكن في دائرة ... فنافي أنفسنا بعد المشقة والجهد حيث كنا حين بدأنا ... ولا قناعة ولا رضى ولا ميراث إلا الحسرة ... أليس كذلك ؟ »

فقال — ولم يسمه إلا أن يقول — : « يظهر أنك جربت كثيراً »

قالت : « نعم . جربت ، إن اللذة ليست شفاء من القلق الروحي والاضطراب النفسي ... قد تكون مخدراً ... ولكنها لا تشفي ... »

فهز رأسه مبتسماً للمرة الأولى ، فقد وافقت هذه العبارة هواه وأحلام شبابه ، وسألها : « عسى أن تكوني راضية عن حياتك ؟ »

فابتسمت له — في عينيه — وقالت : « أين الحياة التي ترى صاحبها الذي يحياها راضياً عنها ؟ »

فشعر بأن به حاجة إلى أن يحميها — لا يدري لماذا ؟ — وقال : « ولكن لك عزاء على الأقل هو أن حياتك مطابقة لآرائك — أعني أنك تحيين على مقتضى اقتناعك — على قدر ما فهمت من كلامك — ولا شك أن قدرتك على ذلك من بواعث رضاك عن نفسك ؟ »

فلم تلتفت إلى هذا وقالت بلهجة فيها من الليل سجوه : « ستكبر يا صاحبي يوماً ما ، وستتاح لك فرصة تقص فيها على صديق لك ، ما سمعت ورأيت مني في هذه الليلة ، وقد تبالغ وتتفلسف ، وتنحل نفسك ما لم تقله ، وتقول لي ما لم تسمع مني ... نعم ... من يدري ؟ »

واعتدلت فجأة في مقعدها ، ولوحت بيدها ، والتفتت إليه ، وأثارته النظر وقالت :

« انت عاشق . أراهن أنها فتاة ظامئة ولكنها جميلة كالزهرة التي بدأت تتفتح ، وعسى أن يكون شعرها فاحما لماعا ، وعينها ... ماذا يا ترى؟ .. لا يهم .. »

فالتفت إليها مستغربا ولكنه لم يقل شيئا

ومضت في كلامها فقالت : « إني أسن منك وأخبر بالحياة والناس ، وقد أحببتُ ، ولكني لم ألتزم الأسلوب التقليدي ، ولم أجر على الخطة المرسومة في العرف الموروث ، فليس ما أرى من عينيك أنك تفيضه على حبك ... على الحب عامة ... من السحر والشعر بغريب عليّ ، ولكنك ستشب عن هذا

الطوق ياصاحبي، وستتلفت بقلبك وبعقلك لايعينك وحدها ، إلى الأيام التى كنت فيها تحب الحب ... أيام كانت ألسنة الهواتف تصب فى أذنيك أنشودة سحرية... قد تحلم بمثلها فيابعد في منامك ، ولكنك لن تسمعها مرة أخرى فى يقظتك ، كما تسمعها الآن وأنت تحلم مفتوح العينين ... لست منجمة ، ولكنك لن تتزوج حبيبتك ... ولن يكون هذا أقوى حب لك فى حياتك ... كلا ... فى مثل سنك الغضة ؟؟ أوه . لا »

فابتسم ساخرا وقال متهكما : « هل تستطيعين أن تقرأى لى كفى ؟؟ »

قالت « لا تسخر ... سيجرفك حب المرأة التى تراك صالحا أن تكون وقودا للنار المتسعرة فى جوانحها. وأحسبك ستظل حياتك كلها وقودا لنساء من هذا القبيل .. نساء لسن من طرازك، ولا أنت من طرازهن، ولا بينك وبينهن أى تجاذب روحى ... أراك لا تصدق ... (وهزت كتفيها) آه هذه الثقة ... إيمان الشباب بنفسه ... لو كان أقل أو أضعف لكان نظره أبعد ، وأصدق أيضا ... »

ونهضت ومدت له راحة رخصة ، فوقف وتناول كفها فقالت « أستودعك الله »

قال: « ألا نلتقى مرة أخرى؟ »

قالت « ماالفائدة ؟ كل مايمكن أن يقول له أحدنا للآخر قد قلناه الليلة ... استنفدنا كل حديث ... وليس أثقل من الكلام المعاد ، ولا أبغض إلىّ من الاجترار ... »

فقال: « ولكن ياسيدتى ، إن معرفتنا لم تكد تبدأ ؟ »

قالت « بل بدأت وانتهت .... لو التقينا ألف مرة ومرة لما زاد أحدنا علما بالآخر ... »

وابتسمت ، ومدت له راحتها الأخرى ، فتناولها بكفه الثانية وقالت له وهى تهز يديه : « تصور أن لقاءنا الليلة كان حلما فى حلم — الحياة على كل حال ليست أكثر من حلم ... ولا أحسن أو أطيب »

فسألها وهو مطبق على يديها :

« أنى لك كل هذه المعرفة والنظر ؟ »

قالت « يا لغرور الرجال ! »

فاعتذر وقال: « ولكن الوداع كريه ، ولست أعرف حتى اسمك » قالت وهى تسحب يديها برفق: « الاسم علامة وعنوان ، وقد عرفت كل ما هو جوهرى »

ودارت فمضت عنه مسرعة واختفت فى الظلام .

ولم يطق أن يبقى بعد أن تركته ، فمشى على مهل وهو مطرق يفكر فيما سمع ، ولا يستطيع أن يصدق أو يؤمن بحرف منه ، ولما بلغ بيته دخل وهو يحدث نفسه أن هذه السيدة لا شك مجنونة ، وأدركه العطف عليها ؛ فصار يتمتم وهو يخلع ثيابه: « مسكينة ... مسكينة ! »

ابراهيم عبد القادر المازنى

إشتراك الصيف

تقبل ادارة الرسالة والرواية الاشتراك الشهرى فى المجلتين أو فى احداهما تسهيلا على حضرات القراء فى زمن الصيف ومقدار الاشتراك فى الرسالة أربعة قروش وفى الرواية قرشان ترفع سلفاً